الأهرام

١٩٧٥/٣/١٣

بين العقاد .. وأم كلثوم

فى ذكرى « العملاق » .. وأربعين « الست »

توافق ذكرى العقاد هذا العام ، اربعين ام كلثوم ولشد ما تذكرني ام كلثوم بالعقاد ... فعصامية ام كلثوم من نوع عصامية العقاد فكلاهما كون نفسه بنفسه فى اصرار عنيد وعقيد .

وكلاهما خرج من هذه الارض واختلط بترابها وعرقها واحداثها وايامها .. عاش بها ولهما .. حتى اذا استوى ؛ احسست ان داخل كل منهما مسلة او مئذنة من سراوة العود ، وتكثيف المجهود ، وعمق المعنى والدلالة .

كلاهما صنع تاريخه وتاريخ امته معه فى مجاله على طريقة بناء الهرم الاكبر حجرا حجرا فى التحام سره خاف بعد كل التفسيرات والاجتهادات .

بقلم الدكتورة
نعمات أحمد فؤاد

كلاهما ابن بنته .. وبينتهما زراعية مذ القدم فزرع كل منهما نفسه وكان المحصول وفيرا بمقياس الحجم والقيمة معا .. كلاهما ابن مصر التى ابتدعت الرهبانية فى المسيحيه ووضعت وأرست قواعد التصوف فى الاسلام ... ومن التصوف العكوف على عمل عظيم .

وترهب العقاد وترهبت أم كلثوم حتى شارفت الخمسين فىمجتمع يقيس شباب المراة بالثلاثين الاولى من عمرها وان تسامح ، احتسب لها عشرا أخر ... هذا فى المدينة . اما الريف الذى خرجت منه حيث تتزوج الفتيات بعد العاشرة فالخمسون نهاية .. ولكن أم كلثوم جعلتها بداياتها شتى ومنطلقات شتى .

وكالراهب فى الخلوص الى شىء والعكوف على شىء ، خلص العقاد للفكر وخلصت أم كلثوم للفن وأخلصت فكانت « ظاهرة » ..

انها شخصية تاريخية بالمعنى العالمى بما اوحت الى الكتاب والشعراء والمثالين والموسيقيين فى الشرق والغرب .. وهى شخصية **عالمية** بما شغلت الناس فى وطنها الام وفى الوطن العربى كله فقد استطاعت أم كلثوم أن تسيطر بالحب على هذه الملايين ، وأن تكون فى حياتهم املا .. وملمسا .. وفرحة واحساسا سعيدا .

هى شخصية تاريخية بالمفهوم المصرى

فلم ترفع حضارة فى الدنيا مكان المراة ومكانتها كما فعلت الحضارة المصرية .. وبهذه الوراثة التاريخية دعونا أم كلثوم بدءا من الستينات عندما فرغت من تجسيد مشاعرنا ، وفرغنا نحن من تجسيد حبنا لها ، دعوناها : الست .. ولا نزيد فكلمة [الست] تنصرف اليها وحدها .

وحين تستقطب المراة المصرية فى شخصها وشخصيتها صفات مصر من عطاء وصمود ، وافتنان ، وحنان ، وتواصل ، تدعو : [الست] .

فايزيس التى حاولت أن تعيد الروح الى أوزوريس أى النيل والوادى كانت بالشموخ والاستعلاء على المحنة ومحاولة البعث ، فى ذهن مصر : [الست]

وحين اعتنقت مصر المسيحية ووقفت وراءها ورأت فيها رأيا واتخذت موقفا ، ركزت على الام لا الصلب . فالسيدة البتول مريم فى نظر مصر : [الست] .

ودانت مصر بالاسلام فرأت فى السيدة زينب قيمة معنوية تجسد كل ما فى عالم الانسان الاعلى من نبل وسمو وتضحية وفداء .. رأت مصر فيها بكل ما تمثله معنى من معانى الحق وشجاعة الرأى والموقف والضمير .

السيدة الطاهرة فى نظر المثقفين حولها وفى نظر مصر : [الست] .

وجاء العصر الحديث ، شهد كفاح المراة المصرية منذ قاسم امين .. شهد انجازات المراة فى شتى الميادين وانتصاراتها على التخلف والعجز والجمود ، ورقيها اعلى المناصب .. ولكنه اطلق على [ام كلثوم] من بين المصريات فطلبة كلمته التاريخية : [الست] .

وكما تنصرف كلمة الست الى أم كلثوم وحدها .. تنصرف كلمة [العملاق] الى العقاد وحده .

واكد العقاد منذ البداية قيمة الفرد واكدتها منذ البداية أيضا أم كلثوم ..

وقال العقاد : الجمال هو الحرية فقد عايش شبابه ثورة ١٩١٩ التى جعلت كل مصرى بله الفنان يلهج بالحرية ويفتنتها حين افتقدها الوطن وتلهف عليها .. والحقيقة ان الجمال عدل الحرية وصنو لها .

حتى رفض العقاد [الوظيفة] نابع من عقيدة الحرية .

حتى شكه الاول نوع من الارتفاع عن السطحية وتحرر منها .. ولعل نضجه العقيدى الاخير مرجعه انه وصل بنفسه لا بالتلقين .

العقاد لم يكتب المسرحية لصق احساسه بفرديته ..

المسرحية تحتاج معايشة الناس والانغماس فى حياة كل يوم وهذه ليست عند العقاد المعتكف المتوحد .. وينسحب هذا الكلام على [القصة] .. ولهذا تجد القصة الوحيدة التى كتبها [سارة] قمته هو .

المسرحية يحل ويغير فيها الاخراج المسرحى فهل يطيق العقاد هذا ؟

المسرحية توزيع للذات .. والعقاد تجميع للذات وادلال بها .. ودلال .

وحين اصدرت له دار الهلال قصة حياته فى كتاب اسمه : [انا] . وسواء كان هذا الاسم من عندياتها أو من اختياره هو فانه بلا شك استيحاء نافذ وتعبير صادق عن حقيقة .. انه يؤكد من خلال هذا العنوان [الفردية] .. انه يقول : انا الفرد لا انانية ولكنه الايمان بالانسان .. انه يقول انا الكاتب لا المنشىء .. فقد عاش فى عصر العقاد ، الاديب المنفلوطى الذى كان يصوغ باسلوب شاعرى ما يفكر فيه الاخرون أو يترجمونه له .. ولكن العقاد أو الاصالة ، هو الذى يفكر ويدعو ويتعاطف أو يثور .. العقاد هو الكاتب لا المنشىء ..

وام كلثوم مع منجم صوتها القادر لم تتفرغ للاوبريت - اذا استثنينا عايدة - لم تتفرغ للاوبريت انها تأكيد آخر للفردية .. ان صوتها خامة نفيسة للاوبريت لو صب فى هذا القالب منذ نشأته ولكنه نشأ نشأة شرقية تعين على التخت الشرقى ويتجاوب هو معها . ومن واسطة هذا التخت تتركز الاضواء عليها وحدها . وتحيط الهالات بها وحدها تغنى ما تشاء وقتما تشاء حيثما تشاء .. وتعين عينة كاملة على التخت والمتصلين به من مؤلفين وملحنين وعازفين ومستمعين .

والاوبرا والاوبريت فن جماعى مشترك هى فيه جزء من كل وعلى المغنى أن يخضع للتدريب المضنى وأن يحفظ اقاتى متعددة فى وقت واحد .. وهو يخضع مرة ثانية للمخرج .. وهو محكوم بالوقت والمكان والمجموعة الفنية .

انها تريد أن تستبد حين تغنى .

والاوبريت بعد هذا مثل [يومى] وهذا يناقض سماستها التى وضعتها لنفسها والتى تقوم على التصون و [التشويق]

انه الاحساس بالذات والتوحد .. عند ام كلثوم كالعقاد . وهما فى الايمان بالفرد يصدران عن ضمير هذا البلد الذى ابتدع فن البورترية .

● ● ●

وبعد : فاننا قد سمعنا [كلاما] كثيرا عن تخليد ام كلثوم .. وشهدنا تكريم وزارة الثقافة للدكتور طه حسين وهو خليق بالتكريم .. **فهل تكرم الوزارة العقاد !**

وهل يصبح ما قرأناه عن تخليد ام كلثوم حقيقة واقعة ! □

إثراء المعارف الرقمية
www.ethraadl.com